

الخيامية حرفة تراثية تزدهر خلال شهر رمضان استعدادا للطلب على الأقمشة المزينة، لاستخدامها في الخيم وفي سرادقات موائد الرحمن وفي واجهات المحلات والمطاعم.

الغيورون على فن الخيامية يطالبون برابطة أو جمعية مع ضرورة إدراج هذه الحرفة ضمن المنتجات المحمية من قبل الدولة، للحفاظ عليها من الانقراض.

الخيامية رسم بالقماش على القماش يأبى الاندثار في مصر

● فن فتن المصريين منذ العصر الفرعوني ● مهنة الدقة والصبر تنتظر عودة السياح



حرفة تؤرخ الحضارة المصرية بالرسم

القماش الصغيرة ويقصها حتى يبدأ في تنفيذ لوحات الخيامية بمفرده وينفذ ما يتماشى مع حسه الفني. وائل نانو الذي يعمل في صناعة الخيامية منذ أن كان طفلاً في السابعة من عمره، يقول إن تفضيلاً راغبتي اقتناء لوحات الخيامية بدأت تميل إلى الفن الإسلامي مؤخرًا، بعدما كانوا يفضلون الفرعوني.

ويضيف "إن أقمشة الخيامية يشتريها أصحاب الورش من مصانع الغزل والنسيج بمنطقة المحلة الكبرى وسط الدلتا (شمال) وتتكون من طبقتين، واحدة ناعمة مصنوعة من القطن وأخرى خشنة مكونة من الكتان". ويصنع أسراب الطيور والأشجار، حيث يرى أنها الأكثر جذباً للناس، ويحضر بعض الرسومات من على شبكة الإنترنت ثم يحولها للوحات مرسومة على القماش. ووسط الشارع وقفت ثورة حمدي (35) عاما ربة منزل تقلب زينة رمضان المعلقة على أبواب محال الخيامية وورشها. تقول إنها تأتي كل عام إلى شارع الخيامية لتجهز منزلها لاستقبال شهر رمضان بالزينة والمفروشات والفوانيس الخيامية.

وتضيف "إن لوحات الخيامية المرسومة باليد فائقة الجمال، لكنها مرتفعة جدا في الأسعار، ولا يستطيع كل المصريين اقتناءها"، لذا هي تشتري أقمشة الخيامية المطبوعة بدلا منها. ويشدد الحاج حنفي قائلا "لا يمكن لفن الخيامية أن يندثر طالما هناك من يعشق الفن الجميل وطالما هناك أجيال جديدة تحرص على أن تتعلم هذا الفن الإبداعي. وطالما هناك رواج سياحي وعشاق لإبداعاتنا، وطالما هناك استعمال للسرادقات حيث يكثر استخدامها في المناسبات الدينية سواء في المساجد أو المؤتمرات الدينية، كما في الأفراس والمائم".

ويضيف "حرفة من التراث يصعب اندثارها، قد تشهد إهمالا على المستوى المحلي، لكنها في أوروبا والدول العربية من الحرف التراثية المتميزة، إن يقام معرض سنوي في لندن لمشغولات الخيامية إلى جانب حرف يدوية متعددة ذات تراث عربي يشارك فيه عدد من الحرفيين المصريين". ويطلب الغيورون على ضرورة إدراج فن الخيامية ضمن المنتجات المحمية من قبل الدولة، للحفاظ عليها من الانقراض.

وعن الرواد المصريين الذين يملؤون الشارع، يقول هاشم إن غالبيتهم متفرجون، ولما يأتي مشتر مصري يستطيع أن يدفع ثمن هذه المغزولات التي تستخدم ك لوحات تعلق في حجرات الجلوس ومدخل البيوت وتزين الجلسات العربية والمطاعم الفاخرة ذات الطراز العربي.

زينة رمضان

في الورشة المجاورة لأشرف هاشم، كان وائل نانو صاحب الورشة (40 عاما) يحاول إقناع إحدى السيدات بشراء قطعة من القماش مغزولة بالخياط الزخرفية الإسلامية بـ300 جنيه (نحو 15 دولارا)، إلا أنها لم تعجبها الألوان لبدأ حديث عن حركة البيع من هنا.

يقول نانو وهو اسم اشتهر به في شارع الخيامية، إن حركة البيع متوقفة تماما وهو ما اضطر العاملين في حياكة مفروشات الخيامية لإحضار أقمشة يمكن استخدامها في زينة شهر رمضان كالفوانيس والأطباق الصغيرة والأباجورات. ويشير إلى أن الأقمشة المتعلقة برمضان ليست خيامية بالمعنى الحرفي، بل هي مجرد أقمشة عادية مطبوعة عليها رسومات الخيامية وليست مغزولة باليد، لكنهم يحضرونها لكثرة الطلب عليها في رمضان.

ويؤكد نانو أن ظهور ماكينات الطباعة في سبعينات القرن الماضي ضربت صناعة الخيامية في مقتل فكان وقتها العاملون في هذه المهنة يقاتلون من غزل خيام السرادقات والأفراح، ثم تحول الأمر إلى الميكنة ما أفقد المهنة جزءا أصيلا منها.

ويوضح أن وراثة مهنة الخيامية كانت عبر تعليم قدامى الصناع للمتردين الجدد، سواء بالرسم أو حياكة المنتج، مضيفا "ما إن يتعلم كل متردب يشكل

بالصناعي من الرسم على الأوراق حتى يبدأ في نقله إلى لوحة أصلية. أشرف الذي قضى عمره بين قطع القماش، يطلق على مهنته اسما مميّزا فيقول إنها عملية "الرسم بالقماش على القماش". ويعد أن ينتهي الصناعي من إتمام جسم للوحة على الورق، يقوم بنقوب بالإبرة على القماش المطلوب الرسم به، ثم يشرع في قصه إلى قطع صغيرة.

وبعدها يقوم الرسام بتحديد المناطق التي سيضع فيها القماش المقصوص على اللوحة الأصلية مستخدما قلمه الرصاص الذي لا يفارقه، ثم يجمع القطع الصغيرة المستخدمة في الرسم على لوحة كبيرة من القماش المصنوع من الكتان.

ومهنة الخيامية من المهن التي تتطلب الدقة والصبر، فالقطعة الواحدة تستغرق ما بين عشرة أيام وثلاثة أشهر بحسب التصميم. اصغر اللوحات التي لا يتعدى عرضها 30 سنتيمترا وطولها 50، تستغرق تجهيزها يوما على الأقل بينما بعض اللوحات تستغرق وقتا أطول، حسب الرسم المنقوش عليها.

وبلهجة واثقة يقول هاشم إن أكثر اللوحات تعقيدا هي لوحات الفن الإسلامي لكثرة الوحدات الزخرفية فيها، فبعضها يستغرق أكثر من شهر. وما إن بدأ الحديث عن الخيامية يأخذ منحى الجدية حتى استرجع هاشم ما وقع له قبل 30 عاما تقريبا، إذ يقول إنه أنجز لوحة منقوشة بالفن الإسلامي الدقيق المليء بالوحدات الزخرفية الصغيرة، استغرقت وقتها أربعة أشهر، وباعها آنذاك بالفي جنيه كانت تعادل أكثر من 20 ألف جنيه حاليا، (1200 دولار أميركي).

لكن صناعة الخيامية حاليا لا تروق لهاشم ورفاقه، بسبب تراجع حجم المبيعات، واختفاء المشتري الذي يقدر الجهد المبذول في اللوحات. ويقول هاشم إن غالبية العاملين بالخيامية تركوها وانصرفوا لمهن أخرى تدر دخلا كثيرا، بعدما تعطلت مصالحهم بتوقف السياحة خصوصا الأوروبية.

ويضيف أن الصناعة كانت قائمة قبل قيام الثورة المصرية في 25 يناير 2011 على السياحة واندثرت نهائيا بعدها، وفي نهايات العام الماضي شهدت المنطقة قدوم الأجانب مرة أخرى إلا أنهم اختفوا فجأة.

تتفرد مصر بفن الخيامية، أو فن صناعة الأقمشة الملونة عن بقية دول العالم العربي، فظهرت الرسوم على الأقمشة منذ العصر الفرعوني، وازدهرت وتطورت في العصر الإسلامي، حين كانت تتم صناعة كسوة الكعبة الشريفة في مصر حتى منتصف الستينات من القرن الماضي ثم تطورت وتنوعت مع انتعاش السياحة، لكنها شهدت بعد ثورة يناير تراجع ملحوظ جعل أصحاب هذه الحرفة يخشون اندثارها.

القاهرة - تعتبر الخيامية من المظاهر الرمضانية الأساسية في مصر، فما إن يحل شهر الصيام حتى تزدهر الحركة في شارع الخيامية استعدادا للطلب على الأقمشة المزينة لاستخدامها في الخيم الرمضانية وفي سرادقات موائد الرحمن وفي عروض التنورة وفي واجهات المحلات والمطاعم، أما باقي أشهر السنة فتقتصر الخيامية على الاستخدام في سرادقات العزاء والأفراح والدعاية الانتخابية.

ويحاول شيوخ هذه الحرفة التقليدية محاربة اندثار هذا الفن الجميل ببصماتهم الواضحة على اللوحات المعبرة عن مراحل مختلفة من تاريخ مصر، والمعلقة بمدخل محال وعلى جدران معارض داخل سوق الخيامية في القاهرة.

والخيامية هي زخرفة الأقمشة الملونة يدويا عن طريق التطريز على أقمشة القطن السميكة باستخدام مجموعة من الألوان الزاهية والخيوط البارزة للوصول إلى لوحة فنية جميلة.

وتعددت الروايات حول أصل الخيامية، إلا أن أغلب الروايات ترجعها إلى العصر الفرعوني حيث كانت تصنع من الجلود، ويرجع تطورها إلى العصر الإسلامي وكان أوج ازدهارها في العصر الفاطمي حيث تطورت وبدأت تصنع من القماش.

ويقول أحد الحرفيين "صناعة الخيامية تحتاج إلى إبداع في تناسق الغرز مع بعضها البعض، وفي دقة اختيار الألوان المناسبة، وعدد القطع المطلوبة للعمل والسوق، وسابقا لا يطلب منا سوى تصنيع القماش وخيام السرادقات، أما الآن فقد تطورت صناعة الخيامية والقطع المطلوب العمل عليها بنفس الطريقة، حيث نجد الآن القطع الصغيرة جدا أو مفارش السرير".

وتبدأ مراحل صناعة اللوحات المرسومة على قماش الخيامية، كما يقول هاشم، باختيار الرسم المطلوب نقله على القماش، ثم يبدأ الفنان برسمه على الورق أولا.

وهناك أشكال مختلفة ترسم على القماش فإلى جانب الأشكال الإسلامية هناك أشكال متنوعة، وهي تشبه في النهاية السلم الموسيقي، وهو ما يجعل الصانع أقرب إلى من يعزف على آلة موسيقية، إذ يتعين عليه أن يمزج بين جميع الأشكال بلا نشاز. وما إن ينتهي الفنان الذي يلعبه أرباب مهنة الخيامية

الرقم والتطريز أقرب إلى من يعزف على آلة موسيقية، إذ يتعين عليه أن يمزج بين جميع الأشكال بلا نشاز

كساد المهنة

المهنة التي تلقى كسادا غير مسبوق حاليا بسبب تراجع السياحة بمصر، يرجع تاريخ ازدهارها إلى العصر الملوكي (1250 - 1517) أن كانت مصر تصنع كسوة الكعبة المشرفة، لكن الحال تبدل حاليا حتى هجرها فنانونها بحثا عن لقمة العيش في مهن أخرى. وما إن تدلف من باب زويلة الذي يرجع بناؤه إلى سنة 1092 ميلادية، ويتكون من كتلة بنائية ضخمة عرضها نحو 25 مترا وارتفاعها 24 مترا، حتى تدخل إلى الشارع الذي أخذ اسمه من مهنة الخيامية. والدراسات

المهنة التي تلقى كسادا غير مسبوق حاليا بسبب تراجع السياحة بمصر، يرجع تاريخ ازدهارها إلى العصر الملوكي (1250 - 1517) أن كانت مصر تصنع كسوة الكعبة المشرفة، لكن الحال تبدل حاليا حتى هجرها فنانونها بحثا عن لقمة العيش في مهن أخرى. وما إن تدلف من باب زويلة الذي يرجع بناؤه إلى سنة 1092 ميلادية، ويتكون من كتلة بنائية ضخمة عرضها نحو 25 مترا وارتفاعها 24 مترا، حتى تدخل إلى الشارع الذي أخذ اسمه من مهنة الخيامية. والدراسات

المهنة التي تلقى كسادا غير مسبوق حاليا بسبب تراجع السياحة بمصر، يرجع تاريخ ازدهارها إلى العصر الملوكي (1250 - 1517) أن كانت مصر تصنع كسوة الكعبة المشرفة، لكن الحال تبدل حاليا حتى هجرها فنانونها بحثا عن لقمة العيش في مهن أخرى. وما إن تدلف من باب زويلة الذي يرجع بناؤه إلى سنة 1092 ميلادية، ويتكون من كتلة بنائية ضخمة عرضها نحو 25 مترا وارتفاعها 24 مترا، حتى تدخل إلى الشارع الذي أخذ اسمه من مهنة الخيامية. والدراسات

المهنة التي تلقى كسادا غير مسبوق حاليا بسبب تراجع السياحة بمصر، يرجع تاريخ ازدهارها إلى العصر الملوكي (1250 - 1517) أن كانت مصر تصنع كسوة الكعبة المشرفة، لكن الحال تبدل حاليا حتى هجرها فنانونها بحثا عن لقمة العيش في مهن أخرى. وما إن تدلف من باب زويلة الذي يرجع بناؤه إلى سنة 1092 ميلادية، ويتكون من كتلة بنائية ضخمة عرضها نحو 25 مترا وارتفاعها 24 مترا، حتى تدخل إلى الشارع الذي أخذ اسمه من مهنة الخيامية. والدراسات

المهنة التي تلقى كسادا غير مسبوق حاليا بسبب تراجع السياحة بمصر، يرجع تاريخ ازدهارها إلى العصر الملوكي (1250 - 1517) أن كانت مصر تصنع كسوة الكعبة المشرفة، لكن الحال تبدل حاليا حتى هجرها فنانونها بحثا عن لقمة العيش في مهن أخرى. وما إن تدلف من باب زويلة الذي يرجع بناؤه إلى سنة 1092 ميلادية، ويتكون من كتلة بنائية ضخمة عرضها نحو 25 مترا وارتفاعها 24 مترا، حتى تدخل إلى الشارع الذي أخذ اسمه من مهنة الخيامية. والدراسات

